جغرافية ثقافة الحجم المكاني

كلير نيوسيد كاروليناك. ريد، ماثيو سبارك

ترجمة بتصريف

أ.د. مضر خليل عمر

إن المقاييس scales الجغرافية بعيدة كل البعد عن الحياد والثبات ، هي نتاج أنشطة وعلاقات اقتصادية وسياسية واجتماعية ؛ وعلى هذا النحو فإنها قابلة للتغيير مثل تلك العلاقات ذاتها . وعلى أقل تقدير، تنتج أنواعا مختلفة من المجتمعات ، أنواعا مختلفة من المقاييس الجغرافية لاحتواء وتمكين أشكال معينة من التفاعل الاجتماعي . (نيل سميث، 1995: 60-1) لقد قطعت النظريات الجغرافية للمقاييس شوطاً طويلاً منذ الأيام التي اعتاد فيها الجغرافيون على استحضار مفاهيم ثابتة للمقاييس المحلية والإقليمية والوطنية وكأنها فئات تحليلية مفهومة عالمياً وغير متغيرة . وقد سلطت الأبحاث الحديثة الضوء على البناء الاجتماعي للمقاييس والطرق التي يتم بها التفاوض على المقاييس وإعادة إنتاجها . وتدعو مثل هذه الرؤى العلماء إلى تجاوز النظر إلى الحجم كونه حاوية محايدة سياسياً للعمليات الاجتماعية أو تجريباً منهجياً ، والنظر بدلاً من ذلك في كيفية إنتاجه من خلال الصراعات والتحويلات الاجتماعية والاقتصادية .

وقد تطورت هذه المناهج إلى حد كبير من النظريات الماركسية لإنتاج الفضاء ، وأبرزها حجج نيل سميث (1984) حول التدمير الإبداعي للحجم الناجم عن العمليات الرأسمالية للتنمية غير المتكافئة . وزعم سميث أن عمليات التوحيد الخاصة للإقليمية الرأسمالية - تشكيل مجموعات إقليمية أو مدن أو حتى دول قومية ، على سبيل المثال - يجب أن يُنظر إليها على أنها إصلاحات عديدة عابرة ، مهما بدت ملموسة ، فهي دائماً عرضة للتحويلات التي جلبتها جولات جديدة من الاستثمار الرأسمالي وسحب الاستثمارات .

في هذا الفصل نبدأ من هذه الرؤى الماركسية الأساسية لما أصبح يُعرف باسم "القفز على الحجم". ولكن عند إدخالها في ساحة الفحص التي تتناولها جغرافية الثقافة - إنتاج المظاهر الطبيعية الثقافية والتنافس عليها - فإننا نزعم أيضاً أن التركيز الماركسي على التحديدات الاقتصادية الرأسمالية يحتاج إلى استكمال جذري بالاهتمام بالقوى الثقافية السياسية للأيديولوجية ، والمقاومة ، وبناء الهوية الثقافية والتفاوض عليها . وبهذه الطريقة نسعى إلى استكشاف إنتاج الحجم كونه التأثير المفرط التحديد لعلاقات القوة الثقافية والسياسية والاقتصادية المتنوعة . وفي المقابل ، نزعم أيضاً أن القفز فوق الحجم يمثل إعادة تشكيل النطاق الإقليمي لعلاقات القوة ، وهو يوفر نقطة دخول قوية بشكل خاص إلى البحث التجريبي حول الإفراط الأيديولوجي في التحديد لجغرافيات ثقافية معينة . وسوف نتناول بإسهاب فهمنا للأيديولوجية والإفراط في التحديد بعد قليل ، ولكننا نحتاج أولاً إلى توضيح الحجة الأساسية حول القفز فوق الحجم والتي نبدأ منها .

إن الصيغة الماركسية للقفز فوق النطاقات تتطور مباشرة من التفسير الجذري لسميث للتنمية غير المتكافئة كونها نتاجاً للتوترات بين الميول الرأسمالية نحو المساواة الإقليمية والتمايز ، وهي الميول التي ترتبط في حد ذاتها بالتوتر بين المنافسة والتعاون في الرأسمالية (ينظر أيضاً سميث، 2000). يزعم سميث أن الإصلاحات القياسية تنشأ كحلول جزئية ومؤقتة للتوترات الرأسمالية بين المساواة والتمايز ، ويترتب على ذلك أن هذه الحلول غالباً ما تحل محلها حلولاً مكانية جديدة استجابة لإعادة التنظيم الرأسمالي . وبهذه الطريقة ، "يقفز" التنظيم الإقليمي الرأسمالي فوق النطاق في سياق التراكم المفرط أو لحظات أخرى من الأزمة الرأسمالية وإدارة الأزمة (ينظر أيضاً هارفي، 1999). على سبيل المثال ، يشير سميث (1995) إلى تطور كلير نيوسيد كاروليناك. ريد ، ماثيو سبارك الاتحاد الأوروبي لتوضيح كيف يمكن أن "يقفز" الحجم الذي يتم

عنده التوسط في التدفق الرأسمالي للتعاون والمنافسة ، على مستوى عام ونظامي للغاية ، من حجم الدولة القومية إلى حجم الدولة القارية (ينظر أيضاً سوينجيدو، 1992؛ 1997أ).

ومن خلال مثل هذه الأمثلة ، يمكننا اكتساب إحساس واضح بكيفية إعادة إنتاج الحجم وتحويله من خلال ديناميكيات التغيير السياسي والاقتصادي . والواقع أن إحدى المزايا المعرفية للتركيز التحليلي على القفز فوق الحجم هي أنها تساعد في الواقع على توضيح ما هو الحجم في الواقع : التثبيت المؤقت للنطاق الإقليمي لأنماط معينة من السلطة . وعلى نحو مماثل ، فإن القفز فوق المقاييس يمكننا من وضع نظريات حول التأثيرات الإطارية لمقاييس بعينها دون تجاهل السهولة العامة للمقاييس واللجوء إلى الافتراضات الثابتة القديمة . وهو يمكننا من وصف اللحظات التي يتم فيها إعادة تشكيل الحدود وإعادة صياغة الصراعات . ولأن مثل هذه اللحظات من القفز فوق المقاييس هي في كثير من الأحيان أيضاً لحظات يتم فيها إعادة رسم المظاهر الطبيعية الثقافية ، أو إعادة تصورها ، فإن الجغرافيات الثقافية الناتجة تسجل القفز فوق المقاييس . وهذه هي البصيرة الأساسية التي توجه نهجنا في دراسات الحالة المقدمة في هذا الفصل .

كل ما سبق لا يعني أن مفهوم القفز فوق المقاييس في المجرى يجعل جوهر التكوينات القياسية شفافاً . فمثل هذه الأسئلة الوجودية الجوهرية تتعلق بأشياء معينة من البحث قيد الفحص ، ويمكن أن تتراوح هذه الأشياء من المخاوف الاقتصادية إلى ديناميكيات أخرى متنوعة مثل الجنسية والبيئية والعرقية . في تحليلات سميث لتطور الاتحاد الأوروبي والتحديث الحضري (سميث، 1995) ، فإن العلاقات الاقتصادية (بما في ذلك العلاقات الطبقة) هي التي تحتل الصدارة ، وبالتالي فإن الحجم يأتي ليُطلق على النطاق الإقليمي لعلاقات القوة السياسية والاقتصادية المحددة . ومع ذلك ، فإن فكرة استخدام القفز فوق النطاق تظل مفيدة كنقطة دخول معرفية للتحقيق في النطاق الإقليمي لعلاقات القوة الأخرى أيضاً ، والتي تتداخل مع علاقات الرأسمالية ولكن بطريقة تجعلها تتمتع باستقلال نسبي .

في هذا الفصل ، نسعى إلى توسيع تحليلنا ليشمل علاقات القوة المتنوعة من خلال التركيز على الجغرافيات الثقافية للإيديولوجية والمقاومة . إن هذا لا يبعدها كثيراً عن الاهتمام الماركسي الأساسي بالرأسمالية وسخطها ، ولكنه يسلط الضوء على الطرق التي تتوسط بها التحولات الاقتصادية ، والتي يتم الطعن فيها أحياناً ، من خلال إنتاج رؤى جديدة ، وأفكار جديدة ، ومشاعر جديدة ، وطرق جديدة للوجود في العالم ، والتي تظل جميعها جغرافية بعمق ، في مقاييسها الإقليمية المتغيرة ، مثل الجغرافيات الاقتصادية للتدمير الخلاق الرأسمالي .

وترتبط إعادة التشكيل الإقليمي للتنسيق الاقتصادي بمسألة التمثيل التي تتعلق بكيفية تأطير مثل هذه التشكيلات الإيديولوجية . فعلى سبيل المثال ، كثيراً ما تعمل النخب الشركاتية على تغيير المقاييس التي يتم بها تمثيل الإنتاج من أجل تجنب التنظيم والمساءلة . وفي بعض الأحيان تطالب هذه النخب بمقياس وطني للعمليات ، مدعية حماية السيادة الوطنية ضد القوانين الدولية المهددة . ومع ذلك ، فإنها في أوقات أخرى تقدم عملياتها على أنها حرة وعالمية من أجل تأديب الحكومات الوطنية والحركات العمالية من خلال التهديد بفقدان الوظائف المحلية . وتشكل مثل هذه المناورات الإيديولوجية النيوليبرالية أحد المخاوف التي تثيرها دراسات الحالة في هذا الفصل ، والتي ندرسها من خلال عدسة السياسة الثقافية .

في أعقاب العمل في الدراسات الثقافية الذي أعاد تفسير الإيديولوجية من خلال الأجهزة المفاهيمية لمفهوم "الهيمنة" عند غرامشي ، ومفهوم "الاستجاب الإيديولوجي" عند ألتوسير ، ومفهوم "الخطاب" عند فوكو ، فإننا نستعين بالإيديولوجية لوصف التشكيلات الخطابية المهيمنة التي تتشكل من خلالها ذاتيات الناس والتي من خلالها يتم تمكين المقاومة المضادة للهيمنة (ينظر ، على وجه الخصوص ، هول، 1988؛ ولاكلو وموفي، 1985؛ وسميث، 1988؛ وسبيفاك، 1988). وعلى نحو مماثل ، نتبع استخدام ما بعد فرويد / ما بعد

التوسير لمصطلح "التحديد المفرط" للإشارة إلى فهمنا للتمثيل الإيديولوجي (بما في ذلك تمثيلات المظاهر الطبيعية) كونه مؤسسًا بشكل تكويني على لحظات التكثيف الإيديولوجي والنزوح (ينظر سيلفرمان، 1983: 62، 90؛ سبارك ، قيد النشر).

وفي هذا السجل ، يتعين أن نفهم أي جغرافيا ثقافية معينة ليس فقط كونها تكثيفًا جغرافيًا لتحديدات ثقافية وسياسية واقتصادية متنوعة ، بل وأيضًا كونها شكلاً معينًا من أشكال النزوح ، والذي يأخذ من الناحية الجغرافية شكل إعادة التوطين ، وهو فهم وتجربة خاصة للمكان ، وإن كانت مؤقتة ، والتي تخفي للوهلة الأولى أسسها الإيديولوجية . لقد استند الكثير من أفضل الأعمال الحديثة في مجال جغرافية الثقافة بالفعل إلى مثل هذه الفهم الموسع والدقيق ثقافيًا للإيديولوجية والإفراط في التحديد (أندرسون وجيل، 1991؛ براون، 2000؛ جريجوري، 1996؛ هندرسون، 1999؛ د. ميتشل، 2000؛ ك. ميتشل، 1996؛ مور، 1997؛ شارب وآخرون، 2000؛ رايت، 2001).

إن هدفنا الرئيسي هنا هو استكشاف كيف يمكن لمثل هذا التحليل الموسع للجغرافيات الثقافية أن يفيد ويستفيد من دراسة القفز على النطاقات . فضلاً عن السعي إلى تقديم مساهمة في جغرافية الثقافة بهذه الطريقة ، فإن هدفنا المتبادل هو توسيع الأهمية المفاهيمية للقفز على النطاقات إلى ما هو أبعد من تركيزه التقليدي على الجغرافيات الاقتصادية للتحويل الرأسمالي . إن فكرة استكمال التركيز الماركسي على الإنتاج الاقتصادي على نطاق واسع ليست أصلية بأي حال من الأحوال في هذا الفصل . فقد سعى جغرافيون آخرون بالفعل إلى ربط مثل هذه المخاوف بالأدب الماركسي حول النطاق . ومن أبرز هؤلاء سالي مارستون (2000) التي زعمت ضرورة ربط الاهتمام الماركسي بمجال الإنتاج الاقتصادي بتحليل مجال إعادة الإنتاج الاجتماعي وتأثيره التعاوني على التدمير الإبداعي للنطاق . وينصب اهتمام مارستون بشكل خاص على الأهمية المتغيرة للمنزل والمجال العام كونهما إصلاحات قياسية للتعبير عن الوكالة النسوية . وبالإضافة إلى إبراز الطريقة التي يتم بها تثبيت المقاييس وإلغاؤها من خلال عمليات الصراع الثقافي والتفاوض ، يؤكد عمل مارستون على الحاجة إلى التصالح مع صنع النطاق كونه ساحة تترابط فيها الهيمنة والمقاومة (ينظر أيضًا براون ، 1997).

إن هذا الاهتمام المزدوج بكيفية عمل الهيمنة الإيديولوجية والمقاومة المضادة للهيمنة معًا في مجال غير متكافئ من علاقات القوة المتداولة هو الذي وجه نهجنا هنا . ومثل مارستون ، لا ننظر إلى القفز على النطاق كونه ثنائيًا أنيقًا بين الأشكال المهيمنة إيديولوجيًا والمقاومة . بدلاً من ذلك ، نرى أن الجغرافيات الثقافية الناتجة تعكس طيفًا من التركيبات ، في بعض الأحيان تجسد إعادة تشكيل نطاق علاقات القوة المهيمنة ، وفي بعض الأحيان تجسد إعادة تشكيل نطاق علاقات القوة المقاومة ، ولكنها تظهر دائمًا كمنتج متشابك وهجين للتفاوض والمنافسة (ينظر أيضًا شارب وآخرون، 2000).

من أجل توضيح مثل هذه التركيبات المتنوعة من الهيمنة الإيديولوجية والمقاومة ، اخترنا ثلاثة أمثلة ، يوضح كل منها القفز على النطاق من النطاق الوطني إلى النطاق عبر الوطني . إن الحالة الأولى ، وهي إنشاء **منطقة حدودية تسمى كاسكاديا** ، توضح جغرافية الثقافة للنخبة النيولبيرالية المهيمنة المتمثلة في القفز على نطاق واسع : وهي منطقة تم اختراعها لتوسيع وترسيخ الحوكمة الريادية عبر الحدود بين كندا والولايات المتحدة على ساحل المحيط الهادئ . ومع ذلك ، فإن تجسيد الهيمنة النيولبيرالية كما تفعل ، لا يلغي تمامًا المزيد من رؤى القفز على نطاق واسع المناهضة للهيمنة لنفس المنطقة كمشهد للحكم البيئي . كما توضح حالتنا الثانية ، وهي رؤية المشاهد التي رافقت تطوير مجتمع التجارة الكاريبي (كاريكوم) ، جغرافية الثقافة النيولبيرالية للقفز على نطاق واسع .

ولكن على النقيض من الرؤية الكاسكادية السائدة ، فإن جغرافية الثقافة المتخيلة لمشهد كاريبي مشترك يدعم مجموعة الكاريبي المتحدة تتقاطع أيضاً بشكل وثيق مع إعادة تصور منطقة الكاريبي في مرحلة ما بعد الاستعمار كونها متماسكة وموحدة على الرغم من إرث الانقسام والتنافس بين الإمبراطوريات . وبالتالي فإن تصوير مشهد مجموعة الكاريبي يمثل قفزة أكثر غموضاً ، وهي قفزة نيوليبرالية وما بعد استعمارية في الوقت نفسه . ويمثل مثالنا الثالث فعلاً أقل شأناً من القفز على النطاق . ويتألف من رؤى المظاهر الطبيعية المناهضة لهيمنة الشركات العابرة للحدود المكسيكية الأمريكية التي تتنافس طرقها العابرة للحدود في الوجود ورؤية وتصوير الفضاء بنشاط مع المشهد المنقسم المهيم المتمثل في الشرطة والعنف على الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك . نحن لا نسعى إلى إضفاء طابع رومانسي على رؤية المشهد المقاوم هذه ، بل نهدف فقط إلى التأكيد على كيفية تجسيدها للقفز على نطاق مضاد لهيمنة في وقت ومكان تم تشكيلهما بشكل أساسي من خلال القفز على نطاق الحدود المهيم للإنتاج والتمويل في ظل التجارة الحرة لأميركا الشمالية .

من الواضح أن السياق الشامل لكل الأمثلة الثلاثة التي تناولناها يظل هو سياق الليبرالية الجديدة ، أو الإيديولوجية السائدة اليوم في مجال تحرير الاقتصاد الرأسمالي من القيود التنظيمية والحوكمة العالمية القائمة على السوق . وبهذا المعنى فإننا نبني على عمل جغرافي الاقتصاد المعنيين بإعادة التفاوض على الحجم في سياق العولمة (على سبيل المثال، روبرتس، 1998؛ سوينجيدو، 1992؛ 1997أ؛ 1997ب). ولكننا في إقرارنا بهذا السياق الاقتصادي المهم لا نعد بأي حال من الأحوال أن الإيديولوجية الليبرالية الجديدة هي نوع من المنطق غير المجسد المنبعث من الأثر الاقتصادي .

والواقع أن إحدى السمات الإيديولوجية المميزة لليبرالية الجديدة هي على وجه التحديد الطريقة التي نُقدّم بها في كثير من الأحيان كونها ضرورة اقتصادية عالمية غير سياسية ما بعد إيديولوجية . وكما يؤكد عالما الأنثروبولوجيا الثقافية جان وجون كوماروف ، "هناك حجة قوية يمكن تقديمها مفادها أن الرأسمالية الليبرالية الجديدة ، في لحظتها الألفية ، تنذر بموت السياسة من خلال إخفاء أسسها الإيديولوجية في إملاءات الكفاءة الاقتصادية : في تقديس السوق الحرة ، وفي الاحتياجات المتزايدة التي لا هواده فيها للأعمال التجارية ، وفي ضرورات العلم والتكنولوجيا" (2000: 322) .

وفي مواجهة هذا النمط من التظاهر (ما بعد) الأيديولوجي ، من المهم بشكل خاص فحص التجسيد الواقعي لكل من الليبرالية الجديدة واستيائها من جغرافيات ثقافية معينة من القفز فوق المقاييس . وعلى هذا ، ففي حين أن السبب الأول الذي دفعنا إلى إدراج ثلاث دراسات حالة هنا هو استكشاف التركيبات المتنوعة لهيمنة الإيديولوجية والمقاومة في القفز فوق المقاييس ، فإن السبب الثاني هو إضفاء الطابع التجريبي على الجغرافيات الثقافية المتنوعة لليبرالية الجديدة على الأرض . إن وضع المشكلة بهذه الطريقة يسمح بتحليل هذه التركيبات . إن هذه الدراسة تساعد على إضفاء طابع إشكالي على تصوير ثنائي لهيمنة والمقاومة . ولكن أكثر من هذا ، فإنها تساعد على إبراز كيف أن الجغرافيات الثقافية لليبرالية الجديدة مُحددة بشكل مفرط من خلال عمليات التفاوض والتنافس الإيديولوجي .

وعلى هذا ، ففي حين تمثل كل حالة من حالاتنا انعكاساً لتوسع وترسيخ الاتفاقيات وصنع السياسات الليبرالية الجديدة في جميع أنحاء الأمريكيتين ، فإنها تُظهر أيضاً كيف يتم إزاحة توطين العلاقات الاقتصادية واستبدالها بشكل معقد بجغرافيات ثقافية جديدة ، وأحياناً مقاومة بشكل جذري ، للقفز على المقاييس . **ربيع القفز على المقاييس** : عطلة الدولتين وعلامة كاسكاديا التجارية تتكون كاسكاديا ، البوابة إلى شمال غرب المحيط الهادئ وعلطة الدولتين ، من ولايات واشنطن وأوريغون الأمريكية ومقاطعة كولومبيا البريطانية الكندية . إنه موقع متميز للسياحة والتجارة الدولية... هناك شيء مغناطيسي هنا لنوع معين من النفوس... شخص يقدر الجمال الطبيعي ، وفرص الترفيه اللامحدودة ، والمزيج النابض بالحياة من التأثيرات

الدولية التي أنتجت ثقافة كاسكاديا المتنوعة واقتصادها المزدهر . لقد قرر العديد من الناس أن يجعلوا من هذه المنطقة موطنًا لهم ، وهو قرار سوف تفهمه بمجرد أن ترى كاسكاديا بنفسك...واشنطن ، وأوريجون، وكولومبيا البريطانية . هناك تقع كاسكاديا . ولكن بمجرد أن تجرب هذا المكان الساحري ، فسوف يكون في مكان آخر أيضًا . سيكون في قلبك وعقلك... إلى الأبد. (كتيب مسافر كاسكاديا ، بدون تاريخ)

هذا منظر طبيعي تم استحضاره لجذب السياح الدوليين بشكل مباشر. تم تصميم هذه الرؤية لتكون بمثابة مساحة عابرة للحدود الوطنية لما يسمى **"إجازة ثنائية القومية"** ، وقد تم تطويرها على مدى العقد الماضي كونها واحدة من الحيل الترويجية الرئيسية لداعمي الأعمال في كاسكاديا . ولم تكن المظاهر الطبيعية مجرد كلمات ، بل إنها كانت أيضًا مصورة في صور وخرائط ، وفي مؤتمر لشركات السياحة في يونيو 1996 في سياتل ، تم تقديم المظاهر الطبيعية الناتجة عن كاسكاديا في شكل ملصق لامع . تخدم الصور المجمع في الملصق في أن واحد لاستحضار تاريخ قديم وطبيعة سامية للمنطقة الحدودية المعاد قياسها ، حيث تمثلها متجذرة بعمق في التربة مثل الغابات الفعلية على سفوح جبال كاسكيد . والنتيجة هي رسم بياني يتضمن مجموعة كاملة من السلع الأساسية الرمزية . من الأشجار نفسها إلى ملاعب الجولف الخالية من الأشجار، يتم وضع علامة على كل شيء ونشاط بشكل فعال كونه مفتوحًا لأعمال السياحة عبر الحدود الجديدة . وفي الوقت نفسه ، يتم تجميع الصور مع خريطة تضيء شعورًا بالموضوعية والتاريخية على المظاهر الطبيعية الناتجة عن كاسكاديا .

إن هذه المحاولة البراقة لإبراز التنوع الثنائي القومي في المنطقة تعني أن القليل يفلت من احتضان الصورة الاستغلالي . فالقطع الأثرية المحلية ، والشلالات ، والديبة ، والنسور ، والسلمون ، والأشجار ، والحيتان القاتلة ، كلها مجمعة في إعلان واحد . وبهذه الطريقة الجمالية السطحية ، يتم تقليصها جميعًا إلى مجرد أشياء للنظرة السياحية عن بعد (لمزيد من المعلومات حول تأثيرات مثل هذه النظرة على صور المظاهر الطبيعية ، ينظر Duncan and Gregory, 2000) وبالتالي ، تشكل الأشياء في الصورة منظرًا طبيعيًا رائعًا يمكن مشاهدته من بعيد ، وهو مكان مُعاد ترميزه ثقافيًا يربط بين الرؤية الريادية للمروجين ورؤى المصطافين المحتملين التي يتم إنشاؤها على الجانب الآخر من العالم . وبينما تعمل كأشياء سياحية ، فإنها تعمل أيضًا بالنسبة للمروجين كوسيلة لصياغة مستقبلًا طبيعيًا لكاسكاديان من التاريخ الطبيعي الموضوعي للمنطقة .

في الواقع ، في حين تعكس إعلانات "عطلة بين دولتين" محاولة لتسويق حادثة كاسكاديا وتنوعها كونها منطقة عابرة للحدود ، فمن الجدير بالملاحظة بالقدر نفسه أنها تعكس أيضًا محاولة للإيحاء بأن هذه هي الطريقة التي كان ينبغي أن تكون عليها الأمور بشكل طبيعي دائمًا . إن هذا الجهد لإضفاء الطابع الطبيعي على وضع المنطقة العابرة للحدود كونها منطقة موحدة يعكس بدوره سياسات واقتصاديات القفز على المقاييس . وعلاوة على ذلك ، فإن عمل الملصق نفسه يعمل كشكل من أشكال أداة التأطير المعرفية التي تستهدف وكالات السياحة بقدر ما تستهدف السياح أنفسهم ، وتهدف إلى إعادة صياغة الوجهات المنفصلة سابقًا في كولومبيا البريطانية وشمال غرب المحيط الهادئ في الولايات المتحدة ، وتمثيلها كوحدة إقليمية موحدة . إن الأطوال السيميائية التي يقطعها الملصق من أجل ترسيخ الشعور بطبيعة المنطقة وتاريخها القديم تشكل في حد ذاتها جزءًا لا يتجزأ من عمليات القفز فوق المقاييس .

ورغم أن المروجين أنفسهم لا يستخدمون أبدًا لغة القفز فوق المقاييس ، فإنهم غالبًا ما يكونون صريحين تمامًا بشأن السياق السياسي والاقتصادي الذي يرون أنه يستلزم مخططات إعادة التوسع عبر الحدود . وقد أوضح آلان أرتيبيس ، وهو أكاديمي ومروج كندي ، في عام 1995: "إننا نتنافس على السياح في

سوق عالمية" : "الحفاظ على حصتنا في السوق ، بل وزيادتها ، يمكننا أن ننجح بشكل جيد للغاية من خلال تسويق منطقة تعبر الحدود الدولية" (مقنيس في ويب، 1995: 5). ولكن الأمر لا يقتصر على خلق منطقة متخصصة جديدة لجذب الإنفاق الاستهلاكي الدولي ، بل هناك ضرورة سياسية واقتصادية أخرى أكثر عمقاً وراء تطوير المشهد عبر الحدود . وتفسر النخب المحلية هذه الضرورة الأساسية كونها **ضرورة "للتعاون إقليميًّا من أجل التنافس عالمياً"** (تشابمان، 1996) ، وكما هي الحال مع عدد من المشاريع التعاونية الأخرى التي تهدف إلى تسويق كاسكاديا كموقع للاستثمار الأجنبي المباشر، فإن مشاريع السياحة الثنائية تُعد ، إن لم تكن تُمارس ، مجالاً رئيسياً آخر للتعاون عبر الحدود .

وقد تم إطلاق "الإجازة بين البلدين" في المقام الأول بتحريض من ميناء سياتل ، كما حظيت بدعم مصالح السياحة في كولومبيا البريطانية كوسيلة لجذب السياح من المملكة المتحدة وألمانيا وأستراليا . وكونها مفهوماً تسويقياً ، فإنها ببساطة توضح محاولة لربط فكرة ما بعد اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية بشأن منطقة بلا حدود مع الفكرة الاقتصادية التي مفادها أن سياح كاسكاديا يمكنهم استكشاف دولتين وكل تنوعهما الترفيهي الجماعي مقابل ثمن رحلة طيران واحدة طويلة المسافة . ومع ذلك ، كجزء من ديناميكيات القفز الأكبر من المستوى الوطني إلى القاري المرتبطة باتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية ، فإن المشهد الكاسكادي الناتج يُتصور أيضاً كونه علامة على أوقات التجارة الحرة (سبارك، 2000).

وهنا ، على سبيل المثال ، استحضار نموذجي لعصر جديد لسبب وجود المنطقة : إن الخطوط التي فرضت منذ أكثر من مائة عام قد تجاوزتها ببساطة الحقائق الثقافية والاقتصادية المعاصرة... إن كاسكاديا تنظم نفسها حول ما سوف تكون الحقائق الجديدة للقرن القادم – الحدود المفتوحة ، والتجارة الحرة ، والتعاون الإقليمي ، والنقل الفوري للمعلومات ، والأموال ، والتكنولوجيا . إن حقائق القرنين التاسع عشر والعشرين المتعلقة بالدولة القومية ، مع الحدود المحمية والتقاليد القومية ، قد بدأت في الاختفاء. (شيل وهامر، 1995: 141) وقد زعم أصحاب رؤى أخرى لمشهد كاسكاديا أن مستقبلها الخاص كنوع من اليوتوبيا الليبرالية الجديدة قد تم ترسيخه بالفعل من خلال شريحة واسعة من اقتصاديات الحجم العابرة للحدود (جولدبرج وليفي، 1993). وفي سياق التجارة الحرة ، يزعمون أن هذه الاقتصاديات سوف تنمو، وستكون النتيجة منطقة حدودية ذات نطاق جديد غير مقيدة بأنظمة الحكم الوطنية القديمة . وهذا يقودهم إلى الادعاء بجرأة بأن كاسكاديا "كيان اقتصادي مهم مثل كاليفورنيا" (1993: 29) .

ومع ذلك ، وبينما يشرعون في تقديم المنطقة بشكل متكرر بهذه الطرق المبالغ فيها ، يبدأ الأمر في أن يتضح ، أنه ، كما في الملصق الخاص بـ "عطلة الدولتين" ، يستدعي الداعمين ويعتمدون على الخطوط العريضة الأكثر عمومية لمشهد كاسكاديا للقيام بإضفاء الشرعية الإيديولوجية على خطط التنمية عبر الحدود الموسعة . إن هذا المشهد الطبيعي وتنوع الشعوب والفرص المتاحة له ، إذن ، هو الذي يساعد في **إضفاء الطابع الطبيعي على مفهوم الهوية الإقليمية عبر الحدود الموسعة** ونشره بين الزوار من الخارج . وعلى هذا النحو ، فإن التمثيل الجغرافي لمنطقة كاسكاديا المعاد قياسها يخدم في تبرير وتسهيل العمليات نفسها التي يقدمها كأمر واقع . وكسبب أساسي للتنمية في كاسكاديا ، غالباً ما يُطلب من النطاق الثنائي القومي المعاد قياسه لرؤية المشهد الطبيعي شرح الفرص التي تنتظرنا . وعلى هذا النحو ، يُقال إنه من الطبيعي أن تتعاون الأجزاء المنفصلة من كاسكاديا على المستوى المحلي وتبني تحالفًا إقليمياً في سياق الترابط العالمي (على سبيل المثال، أرنتيس، 1994: 4).

وعلاوة على ذلك ، وفيما يتصل بتفسير سبب وضع المنطقة على مسار النمو التكنولوجي العالي بفضل النطاق والحجم العابرين لحدود كاسكاديا ، فإن المروجين غالباً ما يستشهدون أيضاً بالصفات الجمالية

للمظاهر الطبيعية ، ويزعمون أن جمالها الطبيعي وتنوعها يشكلان الأساس لجذب ورعاية قوة عاملة مهنية عالية التعليم . إن جاذبية نمط الحياة للمظاهر الطبيعية هي التي تُستخدم بدورها في الروايات الطبيعية عن مصير سكان كاسكاديا الخاص كمواطنين في عقدة التجارة الحرة المعاد قياسها من الفرص الليبرالية الجديدة (على سبيل المثال ، سذرلاند ، 1997: 42) . وهناك مفارقة مؤسفة في كل هذا بقدر ما استولى مرّوجو كاسكاديا على المفهوم من جذوره البيئية المثالية الأصلية في عمل خبراء المناطق الحيوية المحليين (ينظر هنكل ، 1993). إن الكثير من النزعة البيئية العابرة للحدود ما تزال قائمة في المنطقة ، وعلى الرغم من محاولات أنصارها تسخيرها لخدمة خطاب التنمية المستدامة في كاسكاديا ، فإنها ترتبط أحياناً بوجهات نظر بديلة جذرية للحكم البيئي المركزي (على سبيل المثال، شونماكر وآخرون، 1997).

وتتجه مثل هذه الرؤى للحكم من خلال رسم خرائط للتنوع البيئي في المنطقة وضعفها . ولكن هذه التمثيلات الأكثر هيمنة على المشهد عبر الحدود ما تزال نازحة بشكل أساسي واستبدلت بكاسكاديا للتنوع الترفيهي والمنتزهات التجارية عالية التقنية التي يتصورها المروجون النيوليبراليون . وفي نهاية المطاف ، وكونها رؤية للمظاهر الطبيعية أعيد قياسها ووضع التنفيذ في الخطابات والخطط الواسعة النطاق للتنمية الإقليمية ، فإن كاسكاديا هي أيضاً منتج مشارك أيديولوجيا للتغيرات ذاتها التي من المفترض أن تعكسها فقط . يساعد هذا في الواقع على تأطير وإضفاء الطابع الطبيعي على التضاريس التي يمكن القول إنها تتمتع بالجادبية والروح والسحر . ولعل الجانب الأكثر إثارة للإعجاب ، بل وحتى السحر، في عملية إعادة القياس الإيديولوجية هذه هو أنها تستحضر أيضاً مواطنين مثاليين للمظاهر الطبيعية أيضاً . وهؤلاء المواطنون ، أو بالأحرى **مواطنو ما بعد المواطنة** كما يتصورهم الناس في المشاريع الترويجية المختلفة ، هم في الأساس مجرد سياح ومستثمرين محتملين . ولكن كونهم وكلاء مستقلين يجلبون المال والرغبات التي تستجيب لإشارات الأسعار ، فإنهم يبدو أنهم يمثلون السكان المثاليين عملياً لمنطقة ما بعد القومية المعاد قياسها والتي يتم تصورها على أنها يوتوبيا نيوليبرالية .

الفقر الاستراتيجي على نطاق واسع :

الشمس والبحر ووحدة الكاريبي

تم تقديم شعار السوق المشتركة الكاريبية والجماعة الكاريبية (CARICOM) في عام 1983، بعد 10 سنوات من إنشاء المنظمة . وكونه علمًا وشعارًا على الوثائق الرسمية ، يرمز الشعار ويطلق على منظمة مخولة بتعزيز التكامل الإقليمي فوق الوطني ، والتجارة ، والتعاون الاقتصادي بين الاقتصاديات الصغيرة في أرخبيل الكاريبي . وبهذا المعنى ، يسجل الشعار عملية القفز على نطاق واسع ، وتوسيع وتكامل الاقتصاديات خارج حدود الأمة . ويستحضر الشعار خطابًا عن الجزيرة حيث يتم تطبيع المنطقة من خلال الإشارة إلى التشابه البيئي ، وفي غياب الحدود المتجاورة ، القرب الموقعي في البحر الكاريبي . ولكن أكثر من ذلك بكثير، من خلال إشارته إلى تاريخ جماعي من الهيمنة والتبعية ، يستحضر الشعار أيضًا ذكريات النضال ، وبالتالي يشير إلى التوترات المعقدة والمتناقضة بين الإيديولوجية والمقاومة في إنتاج الحجم . وبتسليط الضوء على شعور معين بخصوصية منطقة الكاريبي ، يمثل الشعار مزيجًا معقدًا من إعادة رسم الخرائط النيوليبرالية وما بعد الاستعمار .

ومثل المظاهر الطبيعية المستخدمة للترويج لكاسكاديا ، فإن شعار مجموعة الكاريبي يضيف طابعًا طبيعيًا على المنطقة فوق الوطنية من خلال الإشارة المتكررة إلى الصور المحلية للمظاهر الطبيعية المادية والبيئية . ومن خلال انعكاس أصول مجموعة الكاريبي بين المستعمرات البريطانية السابقة ، يضع الشعار

البحر الكاريبي كخلفية يتم فيها كتابة الجزر والنباتات الطبيعية وأشعة الشمس كونها سمة مميزة للمنطقة (مجموعة الكاريبي، 1999). إن إضفاء طابع رمزي على منطقة البحر الكاريبي بأكملها ، كونها جزراً غير مرتبطة جغرافياً بالشمس ، يمحو التاريخ والجغرافيا لصالح منطقة متجانسة ومتكاملة .

إن الترابط البيئي المتناغم الذي ، على الرغم من الاختلافات في اللغة والعرق والخبرة التاريخية ، يمنح المنطقة أهمية مادية قد يصعب تصورها لولا ذلك . إن الحرفين السوداوين الكبيرين C في مقدمة الشعار يعملان كأحرف أولى للمنظمة ، وكحلفتين مفتوحتين في سلسلة . وكونهما حلقات في سلسلة ترمزان إلى الوحدة والترابط بين الأعضاء ، ولكن بصفتها حلقات مكسورة ، فإنهما تشيران إلى التحرر من سلاسل العبودية الاستعمارية . إن الرمزية المزدوجة التي تقدمها السلاسل/ الحلقات تشهد على التناقض الأساسي الذي يكمن وراء الإقليمية في منطقة البحر الكاريبي . وفي خدمة أجندة ليبرالية جديدة ، ينقل الشعار صورة لمنطقة مفتوحة للأعمال : مساحة اقتصادية مترابطة جاهزة لخدمة احتياجات رأس المال المتعدد الجنسيات .

وعلى نحو لا يختلف كثيراً عن كتيب كاسكاديا السياحي اللامع ، فإن شعار مجموعة الكاريبي يمحو الاختلاف الجغرافي ويفتح المنطقة بأكملها كوجهة سياحية قابلة للتسويق . وتجذب صناعة السفن السياحية المتوسعة باستمرار "الكاريبي" المتناغمة والمحايدة كونها وجهة لقضاء العطلات بعيداً عن التاريخ الفوضوي الذي يحدد الأماكن ويميزها . والواقع أنه عندما تهدد الأماكن "الحقيقية" بتحطيم هذه الصورة ، فإن شركات مثل ديزني وروبال كاريبيان ببساطة اشترت جزرها الخاصة وأعدت بناء "جزيرة الكاريبي" حيث لا يمكن للواقع أن يخترق المثالية (أورينشتاين، 1997؛ واينباوم، 1997).

وبالإضافة إلى تسويق المكان ، فإن صورة جزيرة الكاريبي تعمل أيضاً على إعادة صياغة الهويات المحلية لصالح صناعة الخدمات . وفي كتابته عن جزر البهاما ، يقترح ألكسندر أن خطاب الجزيرة يعمل على صياغة أجساد وهويات عنصرية كونها صالحة للاستخدام ، ومطبعة ومتاحة لإشباع "شوق الأوروبين البيض إلى ما هو "نادر وغير ملموس" (1997: 96) . وعلى هذا ، فمثلها كمثل أنصار كاسكاديا ، تجد الدول في منطقة البحر الكاريبي وسيلة استراتيجية لإعادة تعريف دورها في الاقتصاد العالمي من خلال التعبئة الفعالة للصور والهويات الإقليمية . وفي حين تعمل الإقليمية على إعادة تعريف دور المنطقة على المسرح السياسي والاقتصادي العالمي ، فإنها تؤدي أيضاً وظيفة أيديولوجية في إدارة الاضطرابات الداخلية والسيطرة عليها .

ومن المفترض أن يؤدي إخفاء الاختلاف وتوفير رابطة موحدة إلى خلق شعور بهدف أكبر ، وهو طموح من شأنه ، إذا تم تنظيمه بشكل صحيح ، أن يخدم في التحايل على ردود الفعل المحلية تجاه العولمة المتزايدة التكتيف . إن إعادة الهيكلة الاقتصادية التي صممت لزيادة القدرة التنافسية الدولية والانفتاح على التجارة تمارس ضغوطاً نزولية على الأجور ، وتحد من فرص السوق للمنتجين الصغار ، وتقوض قوة النقابات في التنظيم الجماعي في المنطقة . ومع تحرير الدولة للقيود وخصخصة خدمات الرعاية الاجتماعية ، أدت عواقب التنمية التي تقودها التجارة إلى تسارع انحدار مستويات معيشة السكان الفقراء في منطقة الكاريبي (صفا وأنتروبس، 1992). ومع الشعور المتزايد بآثار العولمة على المستوى المحلي ، يمكن للجهات السياسية الفاعلة في الدولة والنخب الشركاتية أن تتجنب الضغوط السياسية الناشئة على المقاييس التي تشعر فيها بشدة صعوبات الفقر والتعديل الهيكلي . وفي هذا السياق ، يمكن لقادة الدولة أن يتولوا زمام المبادرة في مواجهة التحديات التي تفرضها التغيرات المناخية . لقد سمعنا مراراً وتكراراً إلقاء اللوم على الكاريبي والحركة الإقليمية لفشلها في معالجة مشاكلها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الوطنية ، وهي مشاكل لا تملك حلاً فعالاً لها على المستوى الوطني .

ومع ذلك ، فإن هذا الخطاب حول القدرة التنافسية الاقتصادية والمشاركة العالمية يتضمن أيضاً خطاباً مناهضاً للإمبريالية ونضالاً من أجل الاستقلال . فبالنسبة للدول التابعة الصغيرة ، كانت الإقليمية وسيلة لحماية وتوسيع الاستقلال الاقتصادي والسياسي في اقتصاد عالمي نيوليبرالي متزايد . وفي الثمانينيات ، وفي سياق الديون المترامية ، وتزايد تدويل الإنتاج ، والتدخل العسكري الأميركي ، تم تعريف الاستقلال في المنطقة بشكل متزايد من حيث تعزيز الروابط مع القوى العالمية الأخرى غير أوروبا . و وعد توقيع مبادرة حوض الكاريبي (CBI) مع الولايات المتحدة في عام 1982 بحزمة تفضيلية من التجارة والاستثمار والمساعدات التي ربطت المنطقة بشكل وثق بالاقتصاد السياسي الأميركي . لقد تم تقديم شعار مجموعة الكاريبي في عام 1983 ، وهو يحتفل بالاستقلال ، وفي الوقت نفسه يعلن عن وصول منطقة الكاريبي إلى المسرح العالمي كمنطقة مستقلة حديثاً وغير مقيدة بقوى الاستعمار البريطاني . وفي سياق المخاوف المتزايدة بشأن الاستبعاد من اقتصاد عالمي متزايد التنافسية والتكامل ، لما تزال الإقليمية تُستخدَم كحل لتهميش المنطقة ومصدر للاستقلال في اقتصاد عالمي متزايد الترابط (كونواي، 1998؛ إلبو، 1997).

بالتوازي مع المخاوف بشأن الاعتماد على الذات اقتصادياً ، هناك أيضاً رغبة في تصحيح الأخطاء التاريخية ، والتي أدت في ممارسة الهيمنة إلى تقسيم شعوب المنطقة . في كتابته عن تاريخ الإقليمية في منطقة البحر الكاريبي ، اقترح مانويل زاباتا أوليفيلا : لقد تم تقسيم الأمريكتين ومنطقة البحر الكاريبي بشكل تعسفي وفقاً لأهواء الباباوات والإمبراطوريات والجغرافيين والسياسيين ... حيث يُنظر إليهما كوحدات اقتصادية منفصلة ، تم تقسيمها وفقاً لمصالح أولئك الذين لم يكونوا على دراية بوجود روابط بيئية بين مناطقنا القديمة ومجموعتنا العرقية وحضارتنا (1999: 165) وهنا يتحدى أوليفيلا التصور القائل بأن الدول في منطقة البحر الكاريبي هي الحاويات الجغرافية الطبيعية للثقافة والسياسة والاقتصاد الكاريبي . ومع غيره من أنصار التكامل ، يعتقد بالإقليمية استراتيجية للمقاومة بعد الاستعمار ، وهي فقرة استراتيجية على نطاق واسع ، ضرورية لتحقيق مصير تاريخي حُرْم منه شعوب منطقة البحر الكاريبي بسبب الانقطاع العنيف للاستعمار . إن منطقة الكاريبي تستعيد هذا التاريخ الثقافي المشترك لنقل أرضية مشتركة يمكن من خلالها تعزيز الإقليمية كونها الخاتمة الصحيحة والمناسبة لقرون من التشريد والهيمنة والانفصال . إن اللعب المزدوج على السلاسل ، كونها روابط بين الجزر وتذكيرات بيانية بالاستعباد والعبودية ، تشير بوضوح إلى أهمية النضال ضد الاستعمار الذي يكمن وراء الإقليمية الكاريبية . وبالتالي فإن القفز إلى مستوى المنطقة يمكن تفسيره كونه محاولة لإيجاد حل مكاني للقوتين التوأم المتمثلتين في الهيمنة الاستعمارية والمنافسة العالمية .

ومرة أخرى ، ومع ذلك ، فهي عملية متناقضة تحيي ذكريات الإقصاء الاقتصادي وخطابات التبعية في الوقت نفسه الذي تعد فيه بمستقبل ليبرالي جديد قائم على المشاركة الاقتصادية العالمية . من ناحية أخرى ، فإن النداء إلى هذا التاريخ الجماعي هو الاستيلاء على ذاكرة تاريخية جذرية وإزالة الطابع السياسي عنها . ولكن من ناحية أخرى ، فإن صياغة الخطاب المناهض للاستعمار في إيديولوجيات النمو الاقتصادي النيوليبرالي يحيي الذاكرة ويدرجها في الفترة المعاصرة حيث يتم صنع وإعادة صنع النضالات ضد التهميش والهيمنة باستمرار .

وفي حين أن شعار الوحدة الكاريبية يبني ثقافياً شعوراً بمنطقة اقتصادية موحدة ، فإنه يحتوي في داخله على آثار لقراءات بديلة ومتضاربة غالباً للمساحة الإقليمية والانتماء . إن كشف العمليات الثقافية والسياسية والاقتصادية التي تنتج المقاييس يلفت الانتباه إلى هذه السيناريوهات البديلة ، ويسلط الضوء على الشقوق المحتملة أو لحظات المقاومة السياسية داخل اللعب على الوحدة . إن التركيز على تاريخ الاستعمار في منطقة الكاريبي يبقى على روح المقاومة الجماعية التي تستخدمها العديد من المنظمات غير الحكومية الآن لمحاسبة الكاريبي على سياسات التنمية النيوليبرالية . وبينما تحاول القفزات عبر المقاييس تحويل المساحات

التي يتم فيها تنظيم الاقتصاديات ، فإنها تعمل في الوقت نفسه على تحويل مساحات الحياة اليومية وتخلق فرصاً جديدة للتعبير عن المطالب الجماعية على نطاق مختلف عن نطاق الدولة القومية . وفي القسم الاتي ، ندرس بالتفصيل كيف تتمكن الجهات الفاعلة غير الحكومية وغير الشركاتية أيضاً من القفز عبر المقاييس . ومثل العديد من المجموعات داخل منطقة البحر الكاريبي ، يعمل المهاجرون المكسيكيون على إعادة صياغة المساحة عبر الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك وفقاً لشروطهم الخاصة.

القفز على المقاييس: عبور الحدود

يمكن ترجمة التسمية التوضيحية الموجودة على القطعة الأثرية الثقافية على النحو الاتي : رانشو بالنسيا ، سان ديبغو دي لا يونيون، جواناخواتو. 11 يناير 1986. في هذا التاريخ أهدي هذه اللوحة التذكارية إلى العذراء سان خوان على المعجزة الواضحة التي منحتها في تاريخ 5 يونيو 1985. أثناء إعادة الهجرة إلى الولايات المتحدة مع ثلاثة أصدقاء ، نفذت المياه التي كنا نحملها . وفي ظل الحر الشديد والعطش الشديد ، ودون أمل في شرب حتى القليل من الماء ، استدعينا العذراء سان خوان وتمكنا من الوصول إلى وجهتنا والعودة إلى وطننا بصحة جيدة . وفي امتنان أبدي للعذراء سان خوان دي لوس لاجوس من المكان الذي تجد فيه براوليو بارابينتوس .

تتمتع اللوحات التذكارية ، التي تتميز بلونها وجمالها الصارخ ، بمكانة مهمة في الثقافة والفن المكسيكيين . اللوحات التذكارية عبارة عن لوحات صغيرة من الصفيح تُترك في الأضرحة الدينية لتقديم الشكر العلني لصورة إلهية على معجزة أو نعمة تلقيناها . في كتاب "معجزات على الحدود" (1995)، يجمع دوران وماسي مجموعة حية من "الجدول الزمنية" التي طلبها المهاجرون المكسيكيون . وفي هذا السياق ، يزعم أن هذه الجدول الزمنية "توفر مرسة روحية وثقافية للمكسيكيين في الشتات الشمالي ، وتمنحهم عدسة ثقافية مألوفة يمكنهم من خلالها تفسير واستيعاب التجارب المجزأة والمربكة في كثير من الأحيان للحياة في أرض غريبة" (1995: 4). في "الجدول الزمنية" لبروليو بارابينتوس ، يشكر المؤلف العذراء سان خوان على إيصاله وأصدقائه إلى الولايات المتحدة بأمان . وتستحضر الصورة ببراعة خطر الحدود .

تشرق الشمس على الرجال بينما يجلس أحدهم مكتئباً مع إبريق الماء الفارغ بين الصبار وفرشاة الشجيرات . إن لوحة "ريتابلو" تذكرنا بحقيقة مفادها أن العالم "بلا حدود" لا يكون بلا حدود إلا بالنسبة لقلّة قليلة ، وأن القفز فوق الحدود الذي يبدو سهلاً للغاية بالنسبة لمؤيدي ومخططي الليبرالية الجديدة يعكس حركة أكثر تجسيداً وصعوبة بالنسبة للمهاجرين من ذوي الدخل المنخفض . والنتيجة هي رؤية للمظاهر الطبيعية للمنطقة المحيطة بالحدود كونها مساحة عابرة للحدود الوطنية محفوفة بعنف شرطة الحدود ومخاطر عبور الحدود . ومع ذلك ، فإن لوحة "ريتابلو" تستحضر أيضاً قدرة المهاجرين على التفاوض على تلك المساحة . ومن الواضح من كلمات لوحة "ريتابلو" أن هذه ليست المرة الأولى التي يقوم فيها الرجال برحلة إلى الشمال . والسرد هو قصة إعادة الهجرة ، والتوسلات إلى العذراء هي شكر ليس فقط على النجاة من الرحلة إلى الولايات المتحدة ، ولكن أيضاً لإعادتهم سالمين إلى وطنهم ، غواناخواتو، المكسيك .

وهكذا تروي "الرتابلو" قصة مهاجر عن نشوء منطقة عابرة للحدود الوطنية بين الولايات المتحدة والمكسيك . وتلتقط "الرتابلو" الممارسات اليومية للمهاجرين العاملين في الفضاء العابر للحدود الوطنية بين الولايات المتحدة والمكسيك ، وبالتالي تسجل إعادة توطينهم للبلدين . كما تعمل رؤية المشهد على تسهيل المزيد من الهجرة العابرة للحدود ، حيث تنسج قصص العبور والعودة الناجحة إلى الوطن في النسيج الثقافي

المكسيكي . إن شبكات الهجرة العابرة للحدود الوطنية التي تطورت عبر الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك مدمجة في العلاقات الجيوسياسية والاقتصادية التاريخية ، ويمكن القول إنها كانت موجودة منذ قرون عديدة . ولكن كما هو الحال مع العلاقة بين كندا والولايات المتحدة ، فقد وسعت اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية الروابط الاقتصادية والسياسية بين الولايات المتحدة والمكسيك ، مما أدى إلى تعزيز الاقتصاد العابر للحدود الوطنية الذي تتحرك فيه السلع والاستثمارات بحرية عبر الحدود .

ومن عجيب المفارقات أن **مسامية الحدود** أمام تدفقات رأس المال أدت إلى زيادة متناقضة في عسكرة الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك في محاولة للحد من تدفق (بعض) الأشخاص عبرها (أنديراس، 1998-1999؛ كونولي، 1996؛ نيفينز، 2001؛ توثيل وآخرون، 1998). ويجري إضفاء الشرعية على هذا الانفتاح المصاحب للحدود أمام التجارة وإغلاق الحدود أمام المهاجرين من الجنوب من خلال أجنحة نيوليبرالية لا تعمل على تعزيز الأسواق الحرة فحسب ، بل وتدعو أيضاً إلى تقليص الإنفاق الحكومي (مثل التعليم والرعاية الصحية وفوائد الرعاية الاجتماعية) لصالح السكان "غير المستحقين" . ولكن الرسم البياني يشير إلى أن المهاجرين ليسوا وكلاء سلبيين بل هم في الواقع "يقفزون على المقاييس" وفي هذه العملية يقومون بتحويل مساحات الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك بشكل نشط . وفي حين تواصل حكومة الولايات المتحدة بناء الامتيازات السياسية والوصول إلى الخدمات الاجتماعية داخل حدودها ، ينخرط المهاجرون في ممارسات عابرة للحدود الوطنية تفصل العلاقات الاجتماعية عن الدولة القومية المحددة إقليمياً . ومن الجدير بالحدس أن نتعامل مع الهجرة العابرة للحدود كونها ممارسة معارضة أو تخريبية في الأساس (ينظر Smith, 1998; Mitchell, 1997; Ong, 1999 Guarnizo and) وغالباً ما تكون بمثابة استراتيجية لتمكين المرونة الرأسمالية بقدر ما هي استراتيجية لمعارضة السرديات المهيمنة . ولكن تجاهل الطريقة التي يعيد بها براوليو باربينتوس صياغة وإعادة قياس الأراضي من وجهة نظره هو تجاهل للطريقة التي تشكل بها الوكالة البشرية وتشكيل الذاتية جزءاً من بناء الحجم مثل التحولات النظامية للاقتصاد السياسي الرأسمالي . وهناك طريقة يمكننا من خلالها رؤية المهاجرين المتنقلين وهم يقفزون على المقاييس تتعلق بالطرق التي يستجيبون بها لتآكل دولة الرفاهة وحرمان أسر المهاجرين من الفوائد العامة .

وفي المقابلات التي أجراها أحد المؤلفين في جنوب كاليفورنيا ، ناقش المهاجرون كيف يجبرهم عدم الاستقرار الاقتصادي وعدم اليقين على ابتكار استراتيجيات اقتصادية تعتمد على المرونة وتوزيع الموارد عبر مواقع متعددة . وتذكر باولا ، وهي مهاجرة مكسيكية تعمل خادمة في أحد الفنادق في سان دييغو ، أن وضعها هش في الاقتصاد الأميركي وترى أن الحفاظ على الروابط مع المكسيك يشكل طريقاً مهماً للهروب : "أستمتع بعناية وعندما تبدأ الأمور هنا في التدهور إلى الأسوأ أستطيع العودة إلى المكسيك... [بمدخراتي] أستطيع البقاء هناك" . وتذكر باولا أنها لن تكون مؤهلة للحصول على مساعدات الرعاية الاجتماعية الحكومية إذا فقدت وظيفتها . ولكن لأن "الدولار أهم" في المكسيك ، فإنها تتوقع أن تستخدم مدخراتها للاستقرار هناك بدلاً من سان دييغو . ومن عجيب المفارقات أن باولا تستفيد من حدود "الاختلاف" نفسها التي يبنيها حجم الدولة القومية كما تستفيد منها الشركات المتعددة الجنسيات عندما تنتقل إلى الجنوب من الحدود للهروب من لوائح العمل أو البيئة .

وقد أقلت مقابلات أخرى الضوء على الطرق التي ظل بها المهاجرون نشطين سياسياً في قراهم الأصلية (ينظر أيضاً باش وآخرون، 1994؛ سميث، 2001). إن مثل هذه الممارسات العابرة للحدود الوطنية تعمل على إثارة إشكالية فكرة أن السياسة محلية دائماً ، وتجبرنا على التركيز بدلاً من ذلك على كيفية بناء المهاجرين لجغرافياتهم الثقافية الخاصة عبر مقاييس متعددة في وقت واحد (جربوال وكابلان، 1994). وسواء

كان جميع المهاجرين مدركين للتداعيات السياسية لممارساتهم العابرة للحدود الوطنية أم لا، فإنهم مع ذلك يشكلون قوة مهمة في إعادة تقييم العلاقات السياسية والاقتصادية بين المكسيك والولايات المتحدة .
فقد بدأت الدولة المكسيكية في توسيع نطاق حقوق المواطنة - بما في ذلك مزايا الصحة والرعاية الاجتماعية ، وحقوق الملكية وحقوق التصويت - لتشمل المواطنين الذين يعيشون في الولايات المتحدة ، وبالتالي إعادة صياغة الروابط التاريخية بين المواطنة والدولة القومية لاستيعابهم . ورغم أن هذا - يمكن أن يُنظر إليه أيضاً كونه محاولة لاستمالة الثروة والدعم السياسي من قِبَل أولئك الذين يعيشون في الخارج ، فإنه مع ذلك يُظهر الطريقة التي يلعب بها المهاجرون أنفسهم - دوراً في خلق "إصلاح سلمي" جديد للدولة المكسيكية . وعلى غرار "الريتابلو" ، فإن الجغرافيات الثقافية المجسدة والمعبر عنها بوضوح للممارسات اليومية للمهاجرين تؤكد على الحاجة إلى النظر في الدور الذي تلعبه الممارسات العابرة للحدود الوطنية "من الأسفل" في البناء المضاد للهيمنة (ينظر أيضاً سيلفرن، 1999).

الخلاصة

إن دراسات الحالة الثلاث التي تمت مناقشتها في هذا الفصل تعطي خصوصية تجريبية للتحويلات المكانية الناتجة عن والمرتبطة بإعادة الهيكلة النيوليبرالية الأخيرة للأميركيتين . وهي تسلط الضوء ليس فقط على كيفية انعكاس النطاق الإقليمي المتغير للتنظيم الاقتصادي الرأسمالي ، ولكن أيضاً على الطرق المعقدة التي يتم بها انعكاس ذلك إيديولوجياً وترميزه ثقافياً ومقاومته . إن الرؤى المتفائلة حول اليوتوبيا النيوليبرالية في كاسكاديا ، والنضال من أجل الاستقلال ما بعد الاستعمار في اقتصاد عالمي مترابط في منطقة البحر الكاريبي ، وحياة المهاجرين الذين يعملون على الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك ، كلها تسلط الضوء على كيفية إعادة إنتاج الحجم من خلال الإفراط في تحديد جغرافيات ثقافية معينة .

إن الحجم في هذه السياقات لا يُعاد كتابته ببساطة من قبل العملاق الرأسمالي العالمي ، بل يتم إنتاجه في كل مشهد من خلال التفاوض مع الموضوعات الفردية والجماعية ، والتاريخ المحلي والبيئية .
لقد قدمنا البناء الاجتماعي للحجم - في لحظة القفز فوق الحجم - كعملية معقدة ومتناقضة تشارك فيها جهات فاعلة متعددة في صراعات سياسية تمتد عبر جغرافيات قارية ومساحات الحياة اليومية . من ناحية أخرى ، يوفر القفز فوق النطاق إطاراً تجريبياً يصبح من الممكن من الناحية النظرية من خلاله أن نشهد استبدال وإعادة رسم نطاق علاقات القوة . ومن ناحية أخرى ، يسلط اهتمام الجغرافيين الثقافييين بالمظاهر الطبيعية والنص والهوية الضوء على كيفية صراع الوكلاء المنقوشين اجتماعياً وثقافياً حول الأنظمة الإيديولوجية والمعنى ، ويتفاعلون بدورهم مع أنماط الحكم لتشكيل حل قياسي (مارستون، 2000). يعمل هذا النهج على تعميق فهمنا لجغرافيا الثقافة ويفتح مساحة مفاهيمية لتوسيع تعريفنا لما يشكل موضوعاً ذا صلة لفهم إعادة تحديد النطاق الإقليمي لعلاقات القوة . تصبح اللوحات التي يرسمها المهاجرون والشعارات التنظيمية والكتيبات السياحية فجأة مواقع حاسمة لفهم أنماط إعادة الهيكلة الاقتصادية والسياسية والنزوح (الإيديولوجي) الذي يتم من خلاله التوسط في السلطة وتنظيمها والصراع عليها .

كان هدفنا في هذا الفصل هو فتح أبحاث الجغرافيين وممارساتهم أمام حساسية نقدية أكبر لكيفية عمل القوة من خلال الإفراط في تحديد الحجم . إن وضع مشكلة القفز فوق الحجم ، كما فعلنا في أمثلتنا الثلاثة ، يعمل على تفويض المفاهيم الثنائية للهيمنة والمقاومة ويقترح طرقاً أكثر إبداعاً للتعامل مع (إعادة) إنتاج المظاهر الطبيعية الثقافية للقوة والهيمنة والمقاومة في إطار إعادة الهيكلة النيوليبرالية . تُظهر دراسات الحالة الخاصة بنا أيضاً كيف أن المظاهر الطبيعية الثقافية للقفز فوق الحجم هي مواقع محددة بشكل مضاعف للتنافس

والنضال . تمامًا كما هي المواقع التي تُمارس من خلالها القوة ، فإنها تُعاد كتابتها وإعادة صياغتها باستمرار من خلال إنتاج ذاتيات جماعية وأحيانًا جغرافيات مقاومة جذريًا وإنسانية أيضًا .